الوعي والواقعية الأخلاقية في فلسفة توماس ناجيل

د./ هناء صبري

مدرس الفلسفة المعاصرة

كلية الآداب – جامعة الفيوم

يناير 2019

مقدمة

يقول الفيلسوف الأمريكي المعاصر توماس ناجيل (1937-): في كتابه " الكلمة الأخيرة ":" كيف يمكن لكائنات متناهية مثلنا أن تفكر أفكارا لا متناهية ؟"[1]

يسعي ناجيل في فلسفته إلي طرح رؤية عن مكاننا في هذا الكون وفهمنا له حيث يقول: "نحن نضع أنفسنا في العالم لنفهمه" [2]. فإذا ما نظرنا حولنا وجدنا مجموعة من الثنائيات تفرض نفسها علينا، ثنائية الذاتية والموضوعية، ثنائية العقلانية والمادية ثنائية الداخلية والخارجية، إن تلك الأشكال من الثنائية تظهر بوضوح أمامنا حينما نسعى إلى فهم أنفسنا والعالم المحيط بنا، فإذا ما نظرنا إلى أنفسنا نجدنا نطرح السؤال التالي : كيف يمكننا فهم العقل الذاتي الداخلي الخاص في علاقته بالجسد المادي الموضوعي الخارجي؟، وإذا تناولنا العلاقة بيننا وبين العالم فكيف يمكن لنا بناء علي هذا العقل وما يتمتع به من سمه ذاتية للوعي فهم هذا العالم الذي نحيا فيه فهما موضوعيا؟ إننا نعي هذا العالم وندركه بسماتنا الذاتية لكننا نقدم وصفا موضوعيا عن هذا العالم في العلوم الطبيعية كيف يتأتى لنا فعل ذلك؟.

يقدم ناجيل في فلسفته طرحا يحمل في طياته الارتباط بين نظريته الإبستمولوجية وميتافيزيقا العقل, حيث نظر إلى العقل بوصفه قادرا على الوصول إلى الموضوعية ولا يمكن التشكيك في سلطة العقل ويجب علينا لفهم العالم من حولنا استعمال العقل ولفهم هذا العقل ذاته وجب استعمال العقل

---

(1)Thomas Nagel (1997).*The Last Word*, Oxford: Oxford University Press, P.74.

(2) Thomas Nagel.(1986). *The View From Nowhere*, Oxford: Oxford University Press, P.4.

وفي ذلك يقول : "" يجب أن تستخدم العقل في فهم أي شيء بما ذلك العقل نفسه، وفي حال محاولة فهم العقل بوصفة مجرد ظاهرة طبيعية (بيولوجية أو نفسية)، فإن النتيجة تكون تفسيراً لا يتناسب مع استعمالنا له ومع فهمنا الذي نمتلكه في استعمالنا له ... إنني أري وجوب الاعتماد علي العقل ذاته " [3], إن للعقل سلطة التشريع لوضع أليات فهم الكون من حولنا وسلطة فهم ذاته.

لذلك يرى من الضروري رفض النظريات الفيزيقية والمذهب الطبيعي المادي في تفسير العقل بسبب إخفاقها في تفسير السمة الذاتية للخبرة الواعية، لا يمكن للمخ المادي و بيئته بأي حال من الأحوال تقديم تفسير للقصدية العقلية، أي كيفية تمثيل الحالات العقلية الواعية, تمثيل هذا العالم العقلي بكل ما فيه، انها أبستمولوجيا العقل الإنساني, يعنى العقل التفكير بطريقة منهجية يمكن لأي شخص آخر أن يكون قادر على ادراك أنها صحيحة [4]، من ثم يطرح تصورا موضوعيا للمعرفة الإنسانية وهو أن العقل الإنساني أداة المعرفة الذي يقدم للإنسان المنهج أو الطريقة المثلى في التعامل مع هذا العالم, فعندما يقدم عالما ما نظرية علمية في أي مجال معرفي فهو يحاول تقديم فهما لجزء من هذا العالم, أننا نجد العلماء يجمعون على صحتها و صدقها مثل النظرية الكوبرنيقية في علم الفلك, من أين جاء الأجماع على صحة هذه النظرية العلمية او أي نظرية علمية أخرى ؟, يأتي الاجماع من سلطة العقل الإنساني.

من هنا يمكن القول بأن العقل الإنساني قدرة غير شخصية على النظر و اصدار الأحكام الموضوعية ذات سلطة عالمية، أحكام تتجاوز الزمان والمكان, وبالتالي يمكننا عن طريق العقل فهم معنى عبارة والحكم عليها

([3])Ibid , P. 143.
([4])Ibid, P. 5.

بالصدق أو الكذب، يمكن الحكم موضوعيا على أي موضوع موضع الدراسة والبحث من خلال استخدام سلطة العقل المشتركة بين البشر غير الشخصية وغير الذاتية.

إذن يعتقد ناجيل بأن العقل شيء يمكن لكل فرد أن يجده داخل نفسه ولكن في الوقت نفسه يتمتع بسلطة عالمية، فالعقل مصدر الموضوعية الموجودة في فهم الكون .وهذا يعني تقرير حقيقة اعتقاد ناجيل بالنظرية الإبستمولوجية التي تربط بين المخ المادي والعقل المجرد، وتجعل العقلانية عنده بمثابة القدرة الموضوعية التي تتجاوز كل تفاصيل المخ وبيئة الفرد المادية في الزمان والمكان.

وبالتالي تتحدد أهمية البحث في كونه محاولة للإجابة عن التساؤلات الفلسفية التالية:

1- كيف تعامل ناجيل مع الثنائية بين العقل والمخ؟
2- ما طبيعة العلاقة بين المخ والعقل عند ناجيل؟
3- ما العلاقة بين الوعي والمخ عند ناجيل ؟
4- كيف يمكن للخبرة الذاتية أن تلازم ما هو فيزيقي ؟
5- كيف يمكن أن تتحدد هويتي الذاتية على مر الزمن عن طريق الهوية الموضوعية للموجود البشري ؟
6- كيف يفهم العقل ذا الخبرة الواعية الذاتية العالم المادي الموضوعي عند ناجيل ؟
7- كيف ارتبطت الواقعية القيمية بالموضوعية في رؤية ناجيل؟

ومن ثم, تحاول الباحثة تقديم إجابات لهذه التساؤلات من خلال الاعتماد على المنهج التحليلي النقدي المقارن, حيث تعتمد الباحثة

علـي تحليـل مختلـف أفكـار الفيلسـوف وتفسـير موقفـه النقـدي للمـذهب الطبيعـي والنزعـة الفيزيقيـة ومقارنـة فلسـفة ناجيـل بفلاسـفة آخـرين وبمـواقفهم مـن الواقعيـة الأخلاقيـة وموضـوعية القيمـة, مـن أجـل التعـرف علي مذهبه الفلسفي وأصالة رؤيته الفلسفية للوعي وسمته الذاتية.

ومـن ثـم, ينقسـم البحـث إلـى مقدمـة و ثلاثـة مباحـث وخاتمـة مذيلـة بقائمـة المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها الباحثة :

أولا : الوعى والنزعة الفيزيقية المادية.

ثانيا : رفض الروحانية الشاملة.

ثالثا : الواقعية القيمية والأخلاقية.

رابعا : الخاتمة.

المبحث الأول

الوعى والنزعة الفيزيقية المادية

يقـف الـوعي الإنسـاني عقبـة أمـام تصـورنا للعـالم الطبيعـي، ففـي التصـور الشـائع عـن العـالم الطبيعـي يتضـح كيـف أن العـالم الطبيعـي عـالم مـادي فيزيقـي لا مكـان فيـه للـوعي بخبرتـه الذاتيـة, وهنـا يظهـر التسـاؤل المهـم : كيـف يمكـن للـوعى أن يكـون جـزءا ضـمن النظـام المـادي الطبيعـي, لقـد كرسـت هـذه الإشـكالية فـي تـاريخ الفكـر الفلسـفي علـى يـد ديكـارت حينمـا تنـاول الثنائيـة بـين الجسـم والعقـل وأكـد أن الـوعى جـوهر العقـل ويمكننـا تفسـير العقـل فـي حـدود الـوعى. لقـد تحـدث بـرود فـي كتابـه "العقـل ومكانـه فـي العـالم" عـن ظـواهر العقـل بوصـفها

ظـواهر الـوعى , واعتبـر الإشـكالية الأساسـية هـي تحديـد موقـع العقـل فـي العـالم المـادي الطبيعـي يقـول بـرود C. D. Broad (1887- 1971) : " هـل يمكننـا التوصـل إلـى نتـائج حـول النظريـات المحتملـة عـن موقـع العقـل فـي العالم"[5].

لقـد أدرك الفلاسـفة صـعوبة تفسـير الـوعى تفسـيراً ماديـاً, فمـثلا يـري أرمسـترونج إن مفهـوم الـوعى مفهـوم غـامض, مـن الصـعب تحليلـه , كمـا يعتقـد بعـض الفلاسـفة أنـه غيـر قابـل للتحليـل [6]. ويعتقـد شـالمرز أيضـا أن الـوعى أكبـر لغـز, وأكبـر عقبـة فـي سـبيل الفهـم العلمـي للكـون [7], وأن كـل شـيء تقريبـا فـي الوجـود يمكـن تفسـيره تفسـيرا فيزيقيـا باسـتثناء الـوعي[8].يثيـر إذن تنـاول الـوعى تسـاؤل عـن كيفيـة تفسـير الـوعى فـي ظـل التفسـير المـادي الفيزيـائي لكـل شـيء موجـود فـي الكـون، إذا كانـت الخبـرة الواعيـة أكثـر شـيء مـألوف فـي الكـون فإنهـا الأكثر غموضا في تفسيرها.

إن العلـوم الفيزيقيـة عنـدما تصـف الكائنـات الحيـة يتركـز وصـفها علـي كونهـا جـزءا مـن العـالم الطبيعـي –الزمـاني المكـاني – وصـفا يبحـث عـن الموضـوعية, ممـا يعـد تجـاوزا للخبـرة الذاتيـة للـوعي، فـي هـذا المقـام يقـول ناجيـل: " تتـرك العلـوم الفيزيقيـة – علـي الـرغم مـن نجاحهـا غيـر العـادي فـي مجالهـا الخاصـة – بالضـرورة جانبـا هامـا مـن الطبيعـة غيـر مفسـرا"[9]. ويسـتمر

([5])C. D. Broad. (1925). *The Mind and its Place in Nature*, London: Kegan Paul,P,607.

([6])D. M. Armstrong.(1981).*The Nature of Mind* ,The Harvest Press,P.55.

([7])David J. Chalmers.(1991). *The Conscious Mind* ,Oxford: Oxford University Press, P. ix.

(3) بهاء درويش : التفسير الطبيعي المعاصر للوعي : بحث في فلسفة العقل , منشأة المعارف , الإسكندرية , 2009, ص 27.

([9])Thomas Nagel. *The Core Of Mind and Cosmos*, P.1.

قائلا : " لا تستطيع العلوم الفيزيقية وصف الخبرات الذاتية للكائنات الحية أو تفسير كيف يبدو العالم من وجهات نظرهم المختلفة" [10].

ومن جانب آخر, يؤكد فشل التفسير المادي الطبيعي للكون اعتمادا على نجاح العلوم الفيزيقية المادية في تفسير الكون, ويركز نقده على فشل مثل هذه التفسيرات المادية بكل أشكالها, ويرجع السبب في اخفاقات هذه الرؤى إلى تصوره بأن مشكلة العقل والجسم لا ترتبط فقط بالعلاقة بين العقل والمخ والسلوك في الكائنات الحية, ولكنها تغزو فهمنا للكون بأكمله, و بناء عليه لا يمكن عزل العلوم الطبيعية والبيولوجيا التطورية عن مشكلة العقل والجسم.

وهكذا, يعتقد ناجيل أنه يجب علينا تقديم رؤية كلية موحدة للكون تتضمن فهما أكثر شمولا للكون, لا يغفل تفسير العقل بوعيه وخبرته الذاتية, فقد تحقق التقدم الكبير في العلوم الطبيعية والبيولوجية عن طريق استبعاد العقل من العالم الطبيعي وقد سمح هذا بفهم كمي للعالم معبرا عنه في قوانين فيزيائية مصاغة رياضيا, لكن في مرحلة ما سيكون من الضروري البدء في فهم أكثر شمولا للكون يشمل العقل [11] , وهذا ما يسعي إلي تحقيقه من خلال عمله الفلسفي.

ومن ثم يتجه ناجيل نحو ضرورة تفسير الوعي فاتحا مجالا جديدا للبحث في فلسفة العقل منذ نشره لمقالته "ماذا يعني أن تكون خفاشا ؟" في عام 1974, وبخاصة عندما يؤكد علي إن الوعى أو السمة الذاتية للخبرة هو الأمر الذي يجعل مشكلة الجسم والعقل والعلاقة بينهما مستعصية على الحل

([10]) Ibid,P.1.

([11]) Thomas Nagel. *Mind and Cosmos: Why the Materialist Neo-Darwinian Conception of Nature Is Almost Certainly False* . Oxford :Oxford University Press. P,8.

قطعا من منظور المذهب الطبيعي, يقول الفيلسوف : " يعتبر الوعى العقبة الأكثر وضوحا أمام المذهب الطبيعي الذى يعتمد على موارد العلوم الطبيعية فقط .... فالوعى يهدد بانهيار صورة العالم الطبيعي بأكمله " [12], في حين لا ينكر ناجيل وجود الوعى بخبرته الذاتية التي لا نستطيع نقلها للآخرين أو حتى وصفها, لا نستطيع وصف خبرتنا الذاتية في حال الشعور بالفرح أو الحزن أو الألم أو الحلم أو تذوق كعكه لذيذة , كيف يمكننا وصف لذيذة للآخرين, وهذا ما يتحدث عنه ناجيل كيف يمكنني لو كنت خفاشا أن أصف خبرتي الذاتية ووجودي معلقا من أقدامي ؟؟؟ كيف يمكن ذلك ,أنه الوعى الوعى بأنني خفاش أو كيف ننقل خبرة الأصم أو الكفيف يقول ناجيل :" ليس في استطاعتي الوصول إلى السمة الذاتية لخبرة الشخص الأصم والكفيف....ولا يفترض ان يكون في مقدوري, لا يمنعنا هذا من الاعتقاد أن خبرة الآخر لها مثل هذه السمة الذاتية".

ولقد تحدث فتجنشتين عن السمة الذاتية للوعى مستخدما تعبير " محتوى الخبرة", حيث يحدد فتجنشتين هذا المحتوى بأنه الخبرة الذاتية التي لا يستطيع الآخرون الشعور بها وتحديدها مثل خبرتي ومعرفتي بألم الأسنان ومعرفتي كيف يبدو الأحمر والأخضر والأزرق والأصفر وادراكي ما هو الشعور بالحزن والأمل والخوف والمودة والفرح وتمنى فعل شيء ما أو تذكر شيء ما فعلته , أو أن أنوى القيام بشيء أو رؤية رسم أو تناول كلمه بمعنى محدد وليس معنى آخر. إننى لا استعرض أنواع من السلوك أو المواقف أمام عقلي عندما أفعل ذلك, لذلك أعرف ماذا يعنى عرض هذه الخبرات أمام عقل الأنسان وماذا يعنى هذا؟ كيف يمكنني شرح هذا لأى شخص آخر أو لنفسي؟

([12]) Ibid,P.35.

هل هناك وسيلة لنقل الخبرة الذاتية للوعي للآخرين؟, إن مفهوم فتجنشتين عن محتوي الخبرة ذاته هو ما يقصده ناجيل من السمة الذاتية للخبرة.

وهكذا, يكون لمشكلة الوعي جانبين, وهما :

الجانب **الأول:** المشكلة البسيطة للوعي والمتمثلة في قدرتنا علي تمييز المثيرات أو تقرير المعلومات أو مراقبة الحالات الداخلية أو التحكم في السلوك أما الثانية : تتمثل في المشكلة المعقدة للوعي وهي مشكلة الخبرة، إن البشر لديهم خبره ذاتية : هناك شيء يجعلهم علي ما هم عليه (يجعلهم ذواتهم) [1]أو كيف تثير قدرتنا على التمييز والتصنيف وتفاعلانا مع البيئة وتقريرنا لحالاتنا العقلية والوصول إلى حالاتنا الداخلية وكل هذه الأشياء الواعية ؟ [2]، هنا يبرز إحساسنا بالوعى أو الخبرة الذاتية للوعى فحينما أشاهد " وردة حمراء " فإننى أقوم بعمليات عقلية واعية من تجميع معلومات بواسطة الخبرات الحسية المختلفة إلى لحظة وعينا بأنها وردة حمراء، أن كل ما يحدث يتجسد فيه شعورنا بوعينا وذاتيته التي لا يشاركنا فيها أحد. فليس هناك شك في أن الخبرة ترتبط ارتباطا وثيقا بالعمليات الفيزيائية في انظمة مثل المخ ويبدو أن العمليات الفيزيائية تثير الخبرة علي الأقل بمعني أن انتاج نسق فيزيائي (مثل المخ) بخصائص فيزيائية صحيحة يؤدي حتما إلي حالات متطابقة للخبرة. لكن كيف ولماذا تؤدي العمليات الفيزيائية إلي الخبرة ؟ لماذا لا تتم هذه العمليات في الظلام بدون أي حالات مرافقة للخبرة ؟ هذا هو السر الرئيسي

---

(1)Ibid,P.247.

(2) Richard Brown," *David Chalmers on Mind and Consciousness*" ,In, Philosophy of Mind : The Character of Consciousness,(ed.)Andrew Bailey, New York: Oxford University Press,PP.283-302,P. 283.

الغامض للوعي[1]. أو بمعني آخر كيف تنشأ خبرات ذاتية من مخ مادي موضوعي؟.

لقد أثارت فلسفة العقل عند ناجيل السؤال الأكثر جدلا وهو: هل الوعي مادي أم غير مادي؟ وقبل التطرق إلي موقفه وجب التطرق إلي منظوره حول الوعي. يرفض ناجيل التفسير المادي للعقل حيث يجب أن تستخدم العقل حينما تجده في فهم أي شيء بما ذلك العقل نفسه، وفي حال محاولة فهم العقل بوصفه مجرد ظاهرة طبيعية (بيولوجية أو نفسية)، فإن النتيجة تكون تفسيراً لا يتناسب مع استعمالنا له ومع فهمنا الذي نمتلكه في استعمالنا له ومن ثم يجب الاعتماد علي العقل ذاته [2]. ويواصل رفضه للبيولوجيا التطورية الداروينية قائلا:" يوجد افراط مضحك في استخدام علم البيولوجيا التطوري لتفسير كل شيء عن الحياة، بما في ذلك العقل البشري"[3].

ومن هنا, يري ناجيل السبيل لفهم العالم والعقل لن يتأتى إلا من خلال فهم العقل ذاته، العقل عنده قدرة غير شخصية علي النظر واصدار أحكام موضوعية ذات سلطة عالمية. إن عقلانية ناجيل قدرة موضوعية تتجاوز كل تفاصيل المخ والبيئة الفيزيقية في الزمان والمكان. يتجسد رفض ناجيل للتفسير التطوري الداروينى للعقل الإنساني من خطته المحكمة التي تمثلت في رفض كل من النزعة الفيزيقية والنزعة الردية.

(1) David J. Chalmers" *Consciousness and its Place in Nature*", in, Philosophy of Mind: Classical and Contemporary Readings,(ed.) David Chalmers ,Oxford: Oxford University Press, PP.247-272, p.247.
(2)Thomas Nagel. *The Last Word*. P.143.
(3) Ibid, P.131.

يوضح ناجيل في مقالته " النزعة الفيزيقية المادية " أن المقصود بها أن الشخص بكل صفاته النفسية ليس إلا جسمه بكل صفاته الجسدية[1]. يمكن القول وفقا لها أن كل شيء مادي وبشكل أكثر تحديدا كل خاصية هي خاصية فيزيقية ، الفرد كله مادي فقط لا غير، أن الاعتقاد الأساسي لدي انصار النزعة الفيزيقية أن الناس يتألفون من المادة وأن حالاتهم العقلية هي حالات مادية لأمخاخهم[2], ويؤكدون علي أنه لا يوجد شيء غير العالم المادي الذي يمكن دراسته من خلال العلم: عالم الواقع الموضوعي[3].

يبرز هنا تساؤل ناجيل : هل يكفي العالم المادي الموضوعي في تفسير أي خبره من خبراتنا الذاتية التي يستحيل للتفسير المادي الفيزيقي وصفها وصفا كافيا؟ إن تلك الخبرات تتميز بذاتيتها المطلقة التي تختلف من شخص إلي آخر وفي كثير من الاحيان قد تختلف باختلاف حالات الشخص نفسه كيف توصف الذاتية وصفا ماديا فيزيقيا موضوعيا؟.

يضرب بخبرة تذوق الشيكولاتة مثالا علي خبراتنا الذاتية فلا يمتلك انصار النزعة الفيزيائية نظرية محدده عن ما العملية التي تحدث في المخ أثناء خبرة تذوق الشيكولاتة، لكنهم يعتقدون أن الحالات العقلية هي مجرد حالات للمخ [4].

في حين يعترض ناجيل علي أن خبرة تذوق الشوكولاتة مجرد حالة من حالات المخ حالة مادية فيزيائية خالصة، شارحا وجهة نظره علي النحو التالي

---

(1) Thomas Nagel," *Physicalism*", The Philosophical Review, vo1.74,No.3 , Jul,. 1965), pp.339-356.P.339.

(2)Thomas Nagel. (1987*). What Does It All Mean ? : A very Short Introduction to Philosophy*. Oxford: Oxford University Press.P.30,

(3)Ibid, P34.

(4)Ibid , P.30.

: فحينما نتناول الشيكولاتة تذوب الشيكولاتة علي اللسان , وتسبب تغيرات كيميائية في التذوق , ترسل بعض النبضات الكهربية علي طول الأعصاب المؤدية من اللسان إلي المخ, وحينما تصل إلي المخ يحدث المزيد من التغيرات الجسدية، أخيرا نتذوق طعم الشيكولاتة[1]. هل تذوق الشيكولاتة يتمثل في الحدث الفيزيقي المادي فقط في حدوث بعض التغيرات المخية والجسدية أم أن هناك شيء مختلف في عملية التذوق؟ .

يري ناجيل أن هناك قطعا شيئاً مختلفاً يتمثل في الوعي الإنساني المتجسد في خبرة تذوق الشيكولاتة، تلك الخبرة التي يستحيل العثور عليها في المخ، أنها تحدث في داخل العقل بطريقة غير مرئية من أي شخص آخر حتي لو فتح العالم جمجمتك ونظرا داخل مخك لن يري خبره تذوق الشيكولاتة, مما يعني أن حالة تذوق الشيكولاتة ليست ناتجة عن التغيرات المادية : الجسدية والمخية ,وإنما تنتج عن حالة الوعي الإنساني, أن وعينا وحياتنا العقلية الذاتية وخبراتنا الداخلية الذاتية المملوكة لنا بمفردنا يستحيل علي الآخرين الوصول اليها، لن يستطيع أحد الوصول إلي أفكارنا ولا خبراتنا الذاتية، حتي خبرة تناول الشيكولاتة في امكاننا اخفائها عن الآخرين ولن يستطيع الآخرون اكتشافها. لذا يري أنه إذا اعتقدت أن ما يحدث في خبرتك داخل عقلك بطريقة ما يحدث في مخك فإن الأمر ليس كذلك ، أن خبرتك وحالاتك العقلية لا يمكن أن تكون حالات فيزيقية لمخك يجب أن يكون هناك ما هو أكثر من جسمك مع نظامه العصبي" [2],أننا نقف أمام لغز يتمثل في

(1) Ibid, P.28.
(2)Ibid, P.29.

حقيقة معرفتنا أننا لدينا خبرة واعية كيف نفسر نشأتها من البنية المادية ومن وظيفتها؟ .

ومن ناحية أخري, ينقد ناجيل ما يذهب إليه أرمسترونج في تصوره للعقل بناء علي رفض الأول النزعة الفيزيقية المادية, حيث يتبنى أرمسترونج التفسير المادي الطبيعي للعقل قائلا:" يجب إعداد تفسير لطبيعة العقل متوافقا مع وجهة النظر القائلة بأن الأنسان ما هو إلا آلة فيزيقية كيميائية" [1], ومن ثم يكون التفسير الفيزيقي المادي للإنسان عند أرمسترونج هو التفسير الصحيح وبذلك نطابق الحالات الذاتية الداخلية للعقل الإنساني مع الحالات الفيزيقية للجهاز العصبي المركزي, وقصر وظيفة و تكوين الجسم والمخ على المبادئ الفيزيقية التي تحكم المادة, وتحدد حالة أمخاخنا حالة وعينا وحالاتنا العقلية بشكل كامل.

وبذلك يقدم أرمسترونج تحليلا سببيا للمفاهيم العقلية بمعنى قيام المفاهيم العقلية بدور سببي محدد في السلوك الفيزيقي للكائن الحى, وينصب نقد ناجيل على هذا التصور المادي للعقل استنادا على فشل مثل هذا التفسير المادي السببي للعقل وحالاته في إيضاح الطبيعة الجوهرية للحالات العقلية[2], ويؤكد ناجيل علي أنه لا يمكن تحديد حقيقة النزعة المادية إلا من خلال الفسيولوجيا العصبية, الأمر الذي يتطلب حتى تكون المادية صحيحة القبول بالتحليل الردى للمفاهيم العقلية, لكن الرد الكامل للمصطلحات الفيزيقية – مثل السلوكية – غير مقبول لديه, لأنه لا يحافظ على الإمكانية المنطقية للعقول

(1)D. M. Armstrong. *The Nature of Mind*,P.7.

(2) Thomas Nagel. " *Armstrong on the Mind* ", The Philosophical Review , Vol.79, No.3. (Jul., 1970),PP.,394- 403, P.394.

غير المجسدة [1], ينتهى إلى رفض التفسير الفيزيائي المادي الطبيعي للعقل والوعى.

وهنا يتفق شالمرز مع ناجيل ضد النزعة المادية الفيزيقية مقدما حجته التفسيرية على النحو التالى[2]:

1- تفسر التفسيرات المادية البنية والوظيفة.

2- تفسير البنية والوظيفة ليس كافيا لتفسير الوعى.

3- إذن التفسيرات المادية لا تفسر الوعى.

وقدم شالمرز حجته ضد النزعة المادية الفيزيقية في موضع آخر مؤكدا أنه توجد حقائق في العالم تفوق خصائصه المادية و هي :

1- توجد في عالمنا الخبرات الواعية.

2- يوجد عالم ممكن منطقيا يتطابق ماديا معنا. في هذا العالم الحقائق الإيجابية عن الوعى ليست مجسدة ولا معترف بوجودها.

3- ومن ثم, تكون الحقائق عن الوعى هي حقائق أخرى عن عالمنا، بالإضافة إلى الحقائق المادية.

4- وبناء عليه, تكون المادية خاطئة.

إن جوهر حجج تشالمرز ضد الفيزيقية أنه إذا لم يكن هناك تفسير مادى للوعى ، يوجد في العالم أشياء أكثر مما تخبرنا به علومنا الفيزيقية، يمكن للمرء أن يصر على كفاية تفسير البنية والوظيفة لتفسير الوعى وبذلك ينكر وجود المشكلة الصعبة للوعى, لكننا نعى بوجود الوعى و على وعى بأن هذا

(1) Thomas Nagel." *Armstrong on the Mind* ", , P.395.

(2) Richard Brown," *David Chalmers on Mind and Consciousness*" ,P.285.

العالم به ما هو أكثر من المادة وأن ما هو مادى غير كافي لتفسير الخبرة الذاتية الواعية بحالاتها العقلية المختلفة.

من هنا تفرض الذاتية حجر الزاوية الاساسي للوعي علي ناجيل ومن يتبنون مواقفه رفض النزعة الردية وتبني النزعة اللاردية، وفي هذا السبيل وجب التعريف بالنزعة الردية.

- **النزعة الردية:**

توصف بأنها الرأي القائل بأن نوعا واحدا من الاشياء يمكن رده أو تفسير بالكامل في مصطلحات شيء من نوع أخر. وحينما يتعلق الأمر بمشكلة العقل والجسم , فإن النزعة الردية تنص علي أن العقل والظواهر العقلية يمكن أن ترد إلي الظواهر الفيزيقية المادية مثل النشاط العصبي للمخ[1].

لم تلق النزعة الردية قبولا لدي ناجيل, فيري أن هناك شك في القدرة علي رد العقلي إلي ما هو فيزيقي, وينطبق القول علي كل الأشياء الأخرى التي تذهب مذهب العقلية مثل القيمة والمعني, إذن هناك سبب للشك في إمكانية تطبيق المذهب المادي الردي حتي في البيولوجيا ومن ثم سبق الشك في إمكانية تقديم المادية تفسير كافي حتي للعالم المادي[2].

يمكننا عند هذه النقطة تناول التساؤل التالي : هل يمكن في إطار التفسير الداروينى الجديد لأصل وتطور الحياة تفسير العقل ذو الخبرة الذاتية الواعية ؟هل يمكننا تقبل تصور فيلسوف العقل دانيال دينيت أحد أبرز المدافعين عن النظرية التطورية الداروينية؟

---

(1)Thomas Nagel. *The Core of Mind and Cosmos*, p.2.

(2) Thomas Nagel. *Mind and Cosmos*, P,14.

يعتقد دينيت بأن علم الكونيات يخبرنا أن كل شيء في الكون هو داله علي الانفجار العظيم وتاريخ الكون التطوري، علاوة علي ذلك، تخبرنا النظرية الذرية للمادة بأن كل شيء في الكون يتكون بالكامل من الجسيمات المفسرة في النظرية الذرية. ومن ثم فالبشر مستمرون في الطبيعة كما هم ومصنعون بالكامل من المادة، وبالتالي سيكون العلم الكامل للكون جزءا من علم كامل للبشر, و سيكون العلم الكامل للبشر أيضا علما فيزيائيا صارما.

يمكن القول إنه فيلسوف مادي تطوري من انصار النزعة الردية الوعي عنده نتاج عمل المخ، أنه لن يستدعي أي قوي غير معروفة التفسير الوعي، لقد حيرته مشكلة الثنائية الديكارتيين بين العقل والجسم حينما كان طالبا في الجامعة وظل طيلة سنوات طويلة يشعر بأن هناك لغز ما وبدأ يتسأل كيف يمكن علي الارض لأفكاري ومشاعري التوافق في نفس العالم مع الخلايا العصبية والجزئيات التي شكلت مخي؟ ويعتقد ان حل هذه المعضلة يتمثل في نظرية الوعي.

ومن ثم, جاءت اجابة دينيت علي تناوله لمشكلة الوعي في اعتقاده بأن الحقائق الفيزيائية حول المخ كافية لتفسير كل الحقائق حول العقل بما في ذلك الوعي يقول: " إن الظواهر المختلفة التي تؤلف ما نسميه الوعي.. كلها أثار فيزيائية لأنشطة المخ .ويستمر قائلا:" طالما أنك لا تري عقول الناس ابدا بشكل مباشر، لكن يجب أن تأخذ كلامهم عن العقل، أي أن حقائق مثل هذه عن الاحداث العقلية ليست ضمن معلومات العلم، لأنها لا يمكن أن تتحقق بطرق موضوعية" [1].حقا يعترف باستحالة التغاضي عن العقل طالما أن

(1) Daniel C. Dennett.(1991). *Consciousness Explained*, New york: Back Bay Books , p.70.

البشر يتحدثون عنه ، لكنه يرى سياق الحديث المسموح من وجهة نظره التفسير المادي للعقل.

لقد أجمل دينيت تصوره للوعي في أنه سيشرح كل سمة محيره للوعي البشري في إطار العلوم الفيزيقية المعاصرة، ولن يبحث عن قوي غير معروفة أو جواهر غير معروفة[1]. ينتهي به الحال إلي إظهار بعض السمات المثيرة للجدل عن الوعي باعتباره نوع من أنواع الوهم والخداع , فإذا كنت ترغب في انكار وجود بعض السمات المثيرة للجدل عن الوعي فيقع العبء علي لإظهار إنه وهم بطريقة ما أو بأخري [2].

و في المقابل, يرفض ناجيل موقف دينيت بالكامل لإيمانه بأن المخ يجب أن يكون هو العقل بطريقة ما, يقع الانقسام العميق في الآراء حول العقل والمخ بين الرديين واللارديين, يفسر الرديون الظواهر العقلية بالكامل عن طريق مصادر العلم الفيزيائي، و يعتقد اللارديون ان الظواهر العقلية تختلف تماما عن كل شيء آخر , ويسعون وراء التوسع جذريا في أشكال الفهم العلمي لتفسير كيفية انبثاق الظواهر العقلية من العمليات الفيزيائية للمخ.

يري ناجيل أن خبرة الوعي لها دور رئيس لأنها واحدة من أصعب التحديات أمام أصاحب النزعة الردية فكيف يفسرون تصور أن التذوق الذاتي للشيكولاتة – علي سبيل المثال– لا ينبغي أن يكون سببه عصب معين في المخ فقط. كيف تعامل مع الخبرة الذاتية للوعي؟ يعتقد ناجيل أن الخبرة الواعية ظاهرة واسعة الانتشار[3]. إن الخبرة الواعية الذاتية ليست مقصورة علي

---

(1) Ibid,P.40.
(2) Ibid,P40.
(3)Thomas Nagel." *What is it Like Be A Bat?*", The Philosophical Review, vo1.83, No.4.(oct.,1974),pp.435-450. p.436.

الإنسان يشاركه فيها الكائن الحي، إنها تجعل الكائن الحي هو ذلك الكائن الحي بعينه لا شيء غيره بكل صفاته وخصائصه ورغباته وميوله وأحلامه أنه هو لأنه يملك هذه الخبرة الواعية يقول: " إن واقعة أن الكائن الحي لديه خبرة واعية, تعني أن هناك شيئاً ما يجعله هذا الكائن الحي" [1]. إن ما يجعله هذا الكائن الحي أي يشبه ذاته فقط خبرته الواعية التي لن يستطيع أحد شرحها أو معرفة ما يدور في عقل صاحبها، أنها تمكن الانسان – علي سبيل المثال– أن يتخيل حياة غير التي يحياها فليتخيل شخص لم يحصل علي أي قدر من التعليم أنه من أعظم الاطباء ويمارس مهام عمله وناجح في عمله ويترك لخياله العنان كما نقول لكنه واعي أن هذا مجرد تخيل وأنه يحيا حياة مختلفة، كم منا تخيل والرغبات والمشاعر تتغير في تخيلاتنا لكننا نظل ما نحن عليه حينما نعود إلي أرض الواقع، نحن نملك ما هو أكثر من هذا الجسد المادي، نملك اكثر من هذا المخ بعملياته. إن السمة الذاتية للخبرة الواعية هذا ما يتحدث عنه ناجيل قائلا: " هناك شيء يجعلك هذا الكائن الحي, شيء يعني انك الكائن الحي الذي أنت عليه" [2].

يضرب ناجيل مثالا علي ذلك بالخفاش، حيث يمكن معرفة الجانب التكويني المادي للخفاش و معرفة التكوين الفسيولوجي العصبي للخفاش تماما، أي معرفة ذلك الكائن موضوعيا من الخارج، لكن ما يقف حائلا أمام الخبرة الواعية بطابعها الذاتي، لو افترضت إنني تحولت إلي خفاش, أنه صعب معرفة ما ستكون عليه خبره هذه المرحلة. أن أفضل دليل عليها يأتي من

(1) Ibid, p.436.
(2) Ibid,P.436.

خبـرات الخفـاش نفسـه، إذا فقـط عرفنـا مـا يجعلـه يبـدو خفاشـا، أنهـا ذلـك الجـزء الذى يجعله خفاشا وليس شيئا آخر.

ويؤكـد أنـه مـن المسـتحيل أن نجـد الخبـرة الذاتيـة للخفـاش فـي التحليـل الموضـوعي، قـد تتخيـل كيـف سـيكون الحـال لـو علقـت مـن قـدمك بشـكل مقلـوب، لكنـك غيـر قـادر علـي معرفـة: كيـف سـيكون الحـال لـو كنـت خفاشـا كيـف يمكـن رد الخبرة الذاتية للخفاش إلي هذا النوع من التحليل الموضوعي؟.

يعتقـد ناجيـل إن الـوعي ظـاهرة ذاتيـة ومـن المسـتحيل تحليلـه بشـكل تـام فـي ظـاهره ماديـة فيزيقيـة موضـوعية, فالذاتيـة تعنـي أن هنـاك وجهـة نظـر واحـده، هـي إن خبـرات البشـر والخفـافيش وجهتـي نظـر مختلفتـان، إذن الارتبـاط الاساسـي بـين السـمة الذاتيـة للحـالات العقليـة ووجهـة النظـر الواحـدة هـو إن السـمة الذاتيـة لكـل حالـة عقليـة تمثـل نـوع واحـد مـن وجهـات النظـر, لـذلك يقـول: " كـل ظـاهرة ذاتيـة تـرتبط أساسـا بوجهـة نظـر واحـدة ، ومـن الواضـح أنـه لا مفـر مـن أن تتخلـي النظريـة الماديـة الموضـوعية عـن وجهـة النظـر الواحـدة "[1].تكـون الظـاهرة موضـوعية وفقـا لتصـوره إذا كانـت مفهومـة بالكامـل مـن وجهـات نظـر مختلفـة ، تعتبـر الظـواهر العلميـة الفيزيقيـة موضـوعية، لأنهـا فهمـت مـن وجهـات نظـر مختلفة.

يتفـق جـون سـيرل مـع وجهـة نظـر ناجيـل عـن ذاتيـة الـوعى , فيتحـدث عـن الـوعى بوصـفه ذاتـي، حيـث يسـتخدم المصـطلح بمعنـي يشـير إلـى المقولـة الأنطولوجيـة ولـيس المعرفيـة. فالعبـارة " أشـعر بـألم الأن أسـفل ظهـري" هـي عبـارة موضـوعية تمامـا , بمعنـى توقـف صـدقها علـى وجـود واقعـة فعليـة ولا يعتمـد علـى موقـف أو اتجاهـات أو آراء الملاحظـين. مـع ذلـك الظـاهرة نفسـها أي الشـعور

(1)Ibid,P.437.

بـالألم فعليـا ذات نمـط ذاتـي مـن الوجـود ، وبهـذا المعنـى يمكـن القـول الـوعى ذاتـي [1]، وفـي هـذه الحالـة , يكـون الـوعى ظـاهرة لا يمكـن قياسـها أو ملاحظتهـا ، ظـاهرة ذاتيـة شخصـية تقتصـر علـى الخبـرة الواعيـة لصـاحبها فقـط ، فالذاتيـة هـي السـمة المميـزة للحـالات العقليـة التـي يسـتحيل الوصـول إليهـا مـن الخـارج، و السـبيل الوحيـد للوصـول إليهـا داخليـا، واعتبـر سـيرل أن مـن الخطـأ تفسـير ذاتيـة الوعى بوصفها حالة آلية أو استعدادا سلوكيا أو حوسبيا.

ويـرفض سـيرل مـا توصـل إليـة اختبـار تـورنج Turing Test مـن أن العمليـات العقليـة الواعيـة هـي حـالات حوسـبية أو آليـه, حيـث يعتقـد بأنـه لا يمكـن تفسـير حالاتنـا العقليـة بالكامـل كآلـة أو حاسـوب , والسـبب وراء ذلـك الذاتيـة, وهنـا يقـول سـيرل : " لكـن عنـدما نتخيـل العـين بهـذه العـين الداخليـة ، لا نسـتطيع رؤيـة الـوعى. فـي الواقـع ، ذاتيـة الـوعى التـي تجعلـه غيـر مرئـي بشـكل حاسـم. فـإذا حاولنـا رسـم صـورة لـوعي شـخص آخـر ، فأننـا فـي نهايـة المطـاف نرسـم الشـخص الآخـر (ربمـا مـع نمـو منطـاد مـن رأسـه). وإذا حاولنـا اسـتخلاص وعينـا الخـاص ، فسـننتهى إلـى رسـم مـا نحـن عليـه مـن وعـى و ادراك." هنـا يشـرح سـيرل وجهـة نظـرة باسـتحالة الوصـول إلـى الحـالات العقليـة الداخليـة للإنسـان بسـبب ذاتيتهـا وخصوصـيتها ، إذا مـا حاولنـا ملاحظـة وعـى شـخص آخـر يمكننـا ملاحظـة سـلوكه أو البنيـة الماديـة للمـخ ولـيس ذاتيتـه ، هنـاك ذاتيـة الخبـرة الحالـة الداخليـة التي لا يمكن ملاحظتها أو الاشتراك فيها مع الآخرين.

(1) John Searle.(1992).*The Rediscovery of The Mind* ,Cambridge, Mass.: MIT Press, P.94.

وبالتالي تتحدد حجة سيرل ضد النزعة الردية , متفقا مع موقف ناجيل , فيما يلي[1]:

1- يجب التمييز بين الخصائص الحقيقية والموضوعية للأشياء و الأثار الذاتية لهذه الخصائص التي تحدث في العمليات الواعية لدى البشر. علي سبيل المثال الحرارة لها جانبها الموضوعي أما الشعور الذاتي بالدفيء لدى البشر الناتج عن الحرارة الموضوعية شيء آخر تماما.

2- يتجاهل أنصار الرد العلمي للظواهر القابلة للملاحظة آثارها الذاتية على العمليات الواعية لدى البشر , ويقوموا برد السمات الموضوعية غير الذاتية فقط للظواهر. (على سبيل المثال ، ترد النظرية الحركية الحرارة الموضوعية وتترك آثارها الذاتية على البشر).

3- عندما نحاول تقديم رد فيزيقي مادي لهذه الآثار الذاتية للوعي, فلا يمكن استبعاد تأثيراتها الذاتية علينا من خصائصها الموضوعية , والاكتفاء برد الخصائص الموضوعية فقط ولكن في الواقع نسعي إلي فهم الأثار الذاتية فينا. ولم يعد هناك داخل العقل أي تمييز ذو معني بين الموضوعية والذاتية يسمح بتكرار نموذج الرد, فالظواهر الذاتية هي ذاتية بشكل أساسي وجوهري , و أي تفسير ردي يغفل ما هو ضروري فعليا لفهم طبيعة الأشياء.

ومن ثم ,يعتمد ناجيل في رفضه للنزعة الردية بكل أشكالها علي تفرقة بين الإمكانية و الاستحالة . ففي مقام الامكان يجوز للعقل الجمع بين النقيضين: الوجود واللاوجود, الوعي والنزعة المادية, وهي حالة نظرية خالصة تؤكد البحث الميتافيزيقي. في حين, ترتبط

(1) Paul M. Churcland. *The Rediscovery of light*,PP.362-371,P . 366.

الاستحالة بالواقع الفعلي الذي يتضمن الوجود دون اللاوجود. ومادام العقل موجود فإنه جانبا أساسيا من الطبيعة, فالعقل ليس مجرد فكر أو حادث أو اضافة, فإذا كانت قدراتنا العقلية تعتمد علي تكويننا الفيزيائي، فأن ما يفسر وجود الكائنات الحية يجب أن يفسر وجود العقل، لكن إذا لم يكن العقلي ماديا فيزيائيا، إذن لا يمكن تفسيره بشكل كامل بالعلم الطبيعي المادي, ولهذا لا يمكن تجنب نتيجة أن تلك الجوانب من تكويننا الفيزيائي التي تجلب معها العقلية لا يمكن تفسيرها بالكامل عن طريق العلوم الفيزيائية فقط[1].

وبناء علي ما سبق, تستند الردية علي مقولة الإمكانية التي تجعل الأحداث الفيزيائية والسيكولوجية أسسا جوهرية للوعي الذاتي, بينما يرفض ناجيل هذه الإمكانية ويكتفي بالاستحالة الواقعية وما يترتب عليها من تقرير حقيقة وجود الوعي الذاتي الأصيل الذي يتجاوز كل الحالات المادية, الأمر الذي يفسر, اعتقاد ناجيل بفشل النزعة المادية في تفسير العالم, في مقابل قدرة الوعي الذاتي علي تفسير الواقع الخارجي .

يؤكد ناجيل أن النزعة الردية بمختلف اشكالها, لا تجسد السمة الذاتية للوعي من قبل أي شيء مألوف، فقد وضعت مؤخرا تحليلات ردية للعقل، تتوافق جميع تلك التحليلات مع غياب السمة الذاتية للوعي، لا يمكن تفسيرها في حدود النسق التفسيري للمجالات الوظيفية أو الحالات القصدية، يمكن اسناد هذه الحالات إلي الروبوتات أو الاله التي تتصرف مثل البشر علي الرغم من انهالا تمتلك الخبرة لا يمكن تحليلها في حدود

(1) Ibid,P.16.

الدور السببي للخبرات في علاقته بالسلوك الإنساني النموذجي لأسباب مشابهة" [1]. يبدو أن ذاتية الوعي تمنع كل المقترحات الردية لأنه في ضوء أي وصف وظيفي أو فيزيائي مهما كان متطورا، يبدو أنه من الممكن منطقيا أن يكون هناك كائن أو نظام يستوفي هذه الشروط ولكن مع ذلك يفتقر إلي أي ذاتيه أي زومبي في مصطلحاتنا الحالية[2]. يبدو أنه ليس هناك ما يمنعنا من تصور وجود أي نوع من النسق المنظم وظيفيا او فيزيائيا ومن ثم تصور بشكل سلبي أنه لا توجد خبره ذاتية مرتبطة به[3]. لكن يعترض ناجيل علي وجود هذا التصور للزومبي باعتقاده أن هناك نماذج يمكن تصورها ولكنها مستحيلة بمعني قوي للغاية وتلك النماذج:

1- الكائن الحي الذي يحيا ويسلك وكامل من الناحية الوظيفية والفسيولوجية ومع ذلك يقتصر إلي الوعي أي زومبي.

2- الذات الواعية التي لديها حياة داخلية مثلنا التي تسلك وتبدو وكأنها انسان لكن لديها دائرة الكترونية بدلا من العقل[4].

وهناك مجموعة من الحجج ضد التفسير المادي للوعي تدعم موقف ناجيل :

أولا: حجة الإمكانية المنطقية للزومبي :

(1) Thomas Nagel." *What is it Like Be A Bat?* " , pp.436-437.

(2) Thomas Nagel. " *Conceiving the Impossible and the Mind-Body Problem*", Philosophy, vo1.73,No.285.(Jul.1998),pp.337-352,p.345.

(3) Ibid,p.345.

(4) Ibid,p.346.

يعتقد الماديون أنه من المتصور أن يكون هناك نسق متطابق ماديا مع كيان واعي لكنه يفتقر علي الأقل إلي بعض الحالات الواعية، مثل هذا النظام قد يكون الزومبي : نسق متطابق ماديا مع كيان واع لكن ينقصه الوعي بالكامل[1].

يصر دينيت علي أن جميعنا زومبي: هل الزومبي ممكن؟ افهموا أنهم ليسوا ممكنين فقط، إنهم واقعيون، نحن جميعا كائنات الزومبي. لا يمكننا التمييز وفق نظريته بين الكائنات البشرية والزومبي غير الواعين الذين يتصرفون كما لو كانوا بشر[2]. يزعم أننا في الواقع زومبي، و ليس هناك فرق بيننا وبين الآلات التي تفتقر إلي الحالات الواعية. يؤكد دينيت أنه لا يوجد شيء اسمه الحياة الواعية سواء لنا أو للحيوانات أو لأي شيء آخر[3].الوعي ما هو إلا وهم.

يعترض شالمرز على موقف الماديين مؤكدا أنه من خلال النظر في الإمكانية المنطقية للزومبى يمكن أثبات استحالة وجود الأنسان الطبيعي على وجه الأرض بدون وعى، حيث يمكننا أن نتخيل منطقيا عالما من الزومبيهات, أي عالما تجمعه بعالمنا هوية فيزيقية واحدة ولكنه يفتقر لأية خبرات واعية. الكيان (الزومبي) الذي تجمعه بي هوية فيزيقية واحدة يمكن تخيل أن تجمعه بي هوية وظيفية أيضا من حيث استجاباته البيئية ستكون هي ذات استجاباتي. من هنا فإنه تجمعه بي هوية سيكولوجية أيضا : سيري الشجر في الخارج وسيتذوق الشيكولاتة , وسيكون مستيقظا ويمكنه التركيز في أمور كثيرة.

---

(1) David J. Chalmers. "*Consciousness and its place in Nature*", p.249.
(2) John Searle .(1997). *Thy Mystery of Consciousness*, New York: New York Review of Book, P.106.
(3) Ibid, P.107.

الفارق الوحيد بيني وبينه أن إدراكاته لن تكون مصحوبة بأية خبرة واعية فعلية. وهو ما يعني أن الوعي لا يمكن تفسيره برده إلي هوية فيزيقية أو وظيفية[1].

يري شالمرز أنه رغم عدم وجود مثل هذه الكائنات في الواقع, إلا أن افتراض وجودها أمر ممكن منطقيا, من الممكن منطقيا أن افترض وجود كائن تجمعه بي هوية فيزيقية ولكنه يفتقر لخبرات واعية. ما يهم شالمرز ليس مسألة الإمكانية الواقعية لهذه الكائنات أو ما إذا كانت فكرة الكائنات الزومبيهات المستنسخة مني فكرة طبيعية, ولكن المهم هو ما إذا كانت هذه الفكرة متسقة من الناحية التصورية [2].

يمكن وضع الحجة في أبسط صورها علي النحو التالي:

1- من الممكن تصور وجود كائنات الزومبي.

2- إذا كان من الممكن تصور وجود كائنات الزومبي، فمن الممكن ميتافيزيقيا أن يوجد الاحياء الأموات (الزومبي).

3- إذا كان من الممكن ميتافيزيقيا أن هناك زمبي إذن الوعي غير مادي.

4- الوعي غير مادي[3].

وبناء عليه, يتفق شالمرز مع ناجيل في تأكيد فشل التفسير التطوري الداروينى في تفسير الوعي , و لا يزال الوعي يحتاج إلي تفسيره بما يتلاءم مع وجوده هي هذا العالم وليس في الإمكان إغفال الوعي بدعوى أنه وهم كما يقول دينيت , يحتاج تفسير الوعي إلي المزيد من البحث والفهم.

ثانيا: حجة المعرفة : The Knowledge

(1) بهاء درويش : التفسير الطبيعي للوعي : بحث في فلسفة العقل , ص 35 : 36.

(1) المرجع السابق , ص 36.

(3)David J. Chalmers. "*Consciousness and its Place*" ,p.249.

Argument

تعتبر حجة المعرفة من أقوي الحجج ضد التفسير المادي الردي، تؤكد حجة المعرفة أن هناك حقائق عن الوعي لا يمكن استنتاجها من الحقائق المادية الفيزيقية ومن ثم نستدل من ذلك أن الوعي غير مادي. يتخيل فرانك جاكسون عالمة أعصاب بارعة تسمى ماري، لأي سبب تبحث في العالم من غرفة سوداء وبيضاء. فتخصصها الفسيولوجيا العصبية للرؤية[1]. نفترض أن جميع المعلومات المادية اللازمة لمعرفة الألوان مثل الأحمر والأزرق وغيرها من الألوان حصلت عليها بالفعل وخرجت ماري من الغرفة السوداء والبيضاء وحولها الالوان الأخرى السماء زرقاء مثلا أو الوردة حمراء، المفاجأة أن ماري لا تملك أي خبره عن اللون الاحمر أو الأزرق أذن لا تستطيع أن تعرف كيف تشعر بأن لديها خبره بأي لون – ما عدا الابيض والاسود – علي الرغم من معرفتها بكل الحقائق المادية الفيزيقية. يستنتج فرانك جاكسون أنه من المستحيل اكتساب معرفة كيف يبدو اللون الاحمر إلا من خلال خبره ذلك اللون بالفعل يقول جاكسون : " أنه يمكن تطبيق الاسلوب نفسه المتعلق بحجة المعرفة علي التذوق والسمع والاحساس وبصفة عامة علي مختلف الحالات العقلية التي نمتلكها، الملامح الظاهراتية للكيفيات، والاستنتاج أن في كل حالة من الكيفيات تخرج من القصة الفيزيقية"[2].

ويمكن وضع الحجة علي النحو التالي[3]:

---

(1)Frank Jackson. "*Epiphenomenal Qualia*", in, Philosophy of Mind: Classical and Contemporary Readings,(ed.) David Chalmers ,Oxford: Oxford University Press, 2002, PP.273-280.p.275.

(2)Ibid,p.275.

(3) David Chalmers ." *Consciousness and its Place in Nature*",P.249.

1- تعرف ماري كل الحقائق المادية.

2- لا تعرف ماري كل الحقائق.

3- إذن لا تفسر الحقائق المادية كل الحقائق.

وفي الوقت نفسه , يمكن للمرء وضع حجة المعرفة علي نحو أكثر عمومية, كما يلي [1]:

1- لا يمكن استنتاج حقائق الوعي من الحقائق المادية.

2- وبالتالي , إذا كانت هناك حقائق عن الوعي لا يمكن استنتاجها من الحقائق المادية، فإن المادية خاطئة.

وفى المجمل إذا ما نظرنا الى الحاسوب باعتباره يحاكينا في قدرتنا على التمييز الحسي ، نجده يصنف المثيرات اللونية بطريقة تشبه أسلوبنا إلى حد كبير. حيث يقوم الحاسوب بتجميع الأشياء التي نصنفها بأنها " حمراء" تحت فئة واحدة, والأشياء التي نصنفها بأنها " خضراء" تحت فئة أخرى. وفى حال معرفتنا كل التفاصيل حول دوائر الحاسوب الإلكترونية مازال هناك سؤال مفتوح : ماذا يختبر الحاسوب حينما ينظر إلى الورود ؟ هل يختبر كيفية الألوان الحسية نفسها التي نمتلكها عندما ننظر إلى الوردة أو كيفية مختلفة تماما؟[2]. وفي الحقيقة , تتضمن الإجابة ان الحقائق الفيزيقية لا تستلزم منطقيا حقائق حول الخبرة الواعية.

بناء علي كل ماسبق, لقد فشل التفسير التطوري الداروينى في تفسير الوعى، فلماذا أعطي الانتقاء الطبيعي للإنسان الوعى ولم يعطي الزومبى هذه الخبرة الواعية؟ لذلك يتفق شالمرز مع ناجيل في أخفاق التفسير الداروينى في

---

(1) Ibid, P.250.

(2)David J. Chalmers. *The Conscious Mind*, P. 92.

تفسير الوعى قائلا : " أن التطور وحده لا يمكن أن يفسر لماذا تطورت المخلوقات الواعية بدلا من الزومبى "[1].

المبحث الثاني

الروحانية الشاملة Panpsychism

يعتقد أصحاب هذا المذهب بأن جميع مكونات الواقع لها بعض الخصائص العقلية[2]. وبناء عليه كل شيء في الكون يتصف بالوعي , فكل مادة لها خواص عقلية، وأن هناك شيئاً يشبه الوعي في كل مكان.

تعرف الروحانية الشاملة أيضا بأنها أما أنها تري أن جميع أجزاء المادة تنطوي علي الوعي أو وجهة النظر الأكثر كلية بأن العالم بأكمله – مجرد حجاب لعالم لامتناه من الحياة العقلية– ينتج العالم، أو أن الطبيعة مخلوقات حية , وبالتالي يجب اعتبار العالم كائنا حيا يوصف حرفيا بأنه يمتلك العقل والعاطفة, وبالتالي يمكن القول إن للعالم روحا[3]. و هكذا , تعد الروحانية الشاملة شكل من أشكال المثالية الميتافيزيقية , ومن بينها نظرية ليبنتز, من جانب , عن الموناد وهي المثال الكلاسيكي , التي من منظورها تتكون الطبيعة بأكملها من مراكز نفسية مشابهة للعقل البشري[4].

---

(1) Ibid,P.107.

(2) Marina Rokova .(2006) .*Philosophy of Mind A-z*, Edinburgh: Edinburgh University Press, p.136.

(3)Simon Blackburn.(2005). *Oxford Dictionary of Philosophy* ,Oxford : Oxford University Press, p727.

(4) Dogobert D. Runes. *The Dictionary of Philosophy*, New York: Philosophy Library, p.223.

ومن جانب آخر, يتعاطف برجسون مع الروحانية الشاملة في مؤلفه: " المادة والذاكرة " 1896، والذي كانت أطروحته الأساسية تقرر أن المادة درجة أدني من العقل. فالإرادة الحرة هي التيار الذي يمر عبر المادة ويوصل الحياة الحية، كما أنه يؤكد علي أن الذاكرة عنصر أساسي للعقل , فالمرء يصل في النهاية إلي أن العقل هو كل شيء, حيث يقول: " ما نرغب في اثباته هو إننا لا نستطيع أن نتحدث عن الواقع دون إدخال الوعي فيه ... من المستحيل تخيل او تصور رابطة اتصال بين قبل وبعد بدون عنصر الذاكرة وبالتالي يوجد الوعي"[1].

ومن جهة ثالثة, يتبني وايتهد أيضا الروحانية الشاملة, لأنه يعتقد أن كل الاحداث تمتلك جانبا عقليا، قائلا: " ليس الانقسام الحاد بين العقل والطبيعة له أساس في ملاحظاتنا الأساسية.... وبالتالي يجب أن نتصور العمليات العقلية بوصفها من بين العوامل التي تشكل الطبيعة"[2].

وهكذا, يتضح مما سبق ذكره, وجود ثلاث خصائص جوهرية في الروحانية الشاملة, وهي: [3].

1- يكون للأشياء خبرات من ذاتها, وهذا شبيه بالعقل بوصفه شيئا ذاتيا متأصلا في الوجود المادي للعالم والمتأصل في الشيء.

2- تكون هذه الخبرة فريدة لدرجة أن بنية المادة والطاقة التي نطلق عليها شيئا ما هي شيء واحد, بحيث تنعكس هذه الوحدة في نوع الخبرة العقلية الواحدة.

---

(1)Cited In, David Skrbina .(2009). *Mind That Abides: Panpsychism in the New*, Millennium, Amsterdam :John Benjamins Publishing Company. p.21

(2)Whitehad.(1938_. Modes of Thought. New York. MacMillan.p.156.

(3)David Skrbina. (2005). *Panpsychism in The West* , Cambridge: MIT Press,p.16.

3- مادام للكائن الحي تكوين خاص من الكتلة/ الطاقة, إذن يكون أي تكوين أو نظام للكتلة / الطاقة جوهرا روحانيا بنفس المعني يجب أن يؤخذ بنفس المعني.

وبالتالي, يمكن تحديد ماهية الروحانية الشاملة بأنها الخبرة الذاتية الداخلية الفريدة التي تطوق بكل الأشياء, والموجودات الحية, والعالم المحيط بها.

تفترض الروحانية الشاملة – بناء على ما سبق – أن كلا من العقل والوعي مكونان أساسيان من مكونات العالم المادي. إلا أن الباحثة تتساءل : هل يعد الاعتقاد السابق حلا ملائما لمشكلة الثنائية الديكارتية بين الجسم والعقل؟, هل يقبل ناجيل هذا الاعتقاد بوصفه حلا للثنائية الفلسفية ومبررا قويا للتخلص من النزعة الردية؟.

يحدد ناجيل موقفه الفلسفي تجاه الروحانية الشاملة في مقالته: "Panpsychism" , حيث يحدد الفيلسوف معناها بأنها وجهة النظر القائلة بأن المكونات المادية الأساسية للكون لها خصائص عقلية سواء كانت أو لم تكن جزءا من الكائنات الحية. ويتفق ديفيد شالمز مع ناجيل في مفهومه السابق، ويعرفها بأنها : " كل شيء له وعي"[1], وفي موضع آخر" كل شيء له عقل"[2].

يري ناجيل أن هناك أربع مقدمات رئيسة ضرورية للروحانية الشاملة هي:

1- التكوين المادي: كل كائن حي – بما في ذلك البشر – هو نظام مادي معقد.

([1]) David J. Chalmers. *The Conscious Mind*, P.216.

(2) Ibid,P.298.

2- النزعة اللاردية: ليست الحالات العقلية العادية, مثل : التفكير , والشعور , والعاطفة, والاحساس, والرغبة خصائص فيزيقية أو سلوكية أو فسيولوجية للكائن الحي, وليست أيضا ضمن الخصائص الفيزيقية المادية وحدها.

3- الواقعية: لا تعتبر الحالات العقلية خواص للروح, ولا هي خواص للشيء ولكنها خواص للكائنات الحية المكونة من المادة، أي أن الحالات العقلية خصائص واقعية للكائن الحي[1].

4- اللاانبثاقية : تتبع جميع الخصائص في أي نظام معقد عن خصائص مكوناتها وتأثيراتها علي بعضها عند دمجها معا.

ومن ثم, ينكر ناجيل علي الروحانية الشاملة تصورها بأن العقلانية موجودة في كل مكان ، ويري أنه لا يجب فهم الوجود الباطني للحجارة, مثلا, علي أن للحجارة حالات عقلية، لا يوجد وعي في الحجارة فالحجر ليس واعيا، كما أنه ليس كل مادة لها خواص عقلية بالضرورة. في حين يكفي افتراض أن بعض الجسيمات لها خصائص عقلية لكونها تشكل الأفكار , والمشاعر , في الأجسام المادية.

وفي هذا المقام, يتفق شالمرز مع تصور ناجيل للروحانية الشاملة، ويبين في مقالته : " مشكلة البنيات المادية " المشكلة التي تواجه هذا التصور , فكيف يمكن للكيانات المادية الفيزيائية الأساسية مثل الكواركات والفوتونات الحصول علي الخبرة البشرية الواعية مثل أننا نعرف وأننا نحيا؟, أنها كيانات مادية فيزيائية تخلو من الخبرة البشرية الواعية , مثلما تخلو الفوتونات من هذه

(1) Nicholas Unwin." Nagel, Panpschism and Realism", Lancaster University, PP.1-15, P.1.

الخبرة الواعية , تخلو من المعرفة الواعية بوجودها, ويؤكد شالمرز أنها مشكلة تجعل المرء متشائم بشأن آفاق الحل. وهكذا, تعكس مشكلة البنائية الفيزيقية عند شالمرز ثلاث موضوعات فرعية, وهي : السمة الذاتية و السمة الكيفية والسمة البنيوية , حيث يعتقد شالمرز أنه من الصعب تقديم حل لهذه السمات وكيفية الجمع بينها وبين الجانب المادي وفقا للروحانية الشاملة.

وهنا يتفق الفيلسوفان : ناجيل و شالمرز في تقرير عدم قدرة الروحانية الشاملة علي تقديم حلول حاسمة لمشكلة الثنائية , لطبيعة العلاقة بين الوعي الذاتي والكيانات الفيزيقية المادية, حيث يعتقد ناجيل أن التفسير المادي الفيزيقي للحالات السلوكية أو الوظيفية لا يفسر الحالات العقلية, لأنه لا يفسر سماتها الذاتية: ما الحالة العقلية الواعية التي تشبه حالتها الفيزيقية المادية. فسمة الخبرة هي الذاتية والتي يمكن فهمها مبدئيا بشكل كامل من خلال نوع واحد من وجهات النظر...أن الصفات الظاهرية لخبراتنا ذاتية بهذه الطريقة.. ويمكن فهم عمليات المخ الطبيعية موضوعيا من الخارج لأنها ليست ظواهر ذاتية[1].

ومن ثم , تعجز الروحانية الشاملة عن تقديم تفسير الملائم لهذا التكامل بين الذاتي والموضوعي, وبين الداخلي والخارجي, و بين المادي والعقلي، و بين الجسم والعقل, و بين المخ والعقل, فيقول ناجيل : " اعتقد أنه ينبغي إضافة الروحانية الشاملة إلي القائمة الحالية للحلول غير المتوافقة وغير المقبولة لمشكلة العقل والجسم"[2].

---

(1)Thomas Nagel."*Panpachism* ", p.188.

(2)Ibid, p.193.

يهدف ناجيل إلي إيجاد نظرية ثنائية الجانب للعقل والتي يمكن من خلالها الجمع بين كلا المفهومين : الذاتي والموضوعي , لتقديم فهما جديدا لأنفسنا في هذا العالم. وبهذا يفتح ناجيل بأطروحاته الفلسفية مجالات جديدة للبحث قد تغطيها يوما ما إجابات العلماء والفلاسفة في المستقبل القريب , ويظل الوعي الإنساني السمة المميزة لذواتنا البشرية والأكثر غموضا.

المبحث الثالث

واقعية القيمة والأخلاق

يتبنى ناجيل المذهب الواقعي بصفه عامة حيث يعتقد بوجود العالم والأشياء في ذاتها بشكل مستقل عن الوعى الإنساني يقول :" العالم مستقل عن عقولنا "[1], حيث تعكس العبارة السابقة مدي الموضوعية التي يتبناها ناجيل, وبخاصة عندما تؤكد هذه الموضوعية استقلال العالم الخارجي عن الذات الواعية استقلالا أنطولوجيا تاما. وبالتالي, يتجاوز ناجيل المستوي الفلسفي الخاص ببعض الفلاسفة الذين لا يفصلون الوجود الأنطولوجي للعالم عن القدرة البنائية للوعي الإنساني. الأمر الذي لا يعني رفضه لفعالية الوعي, ولكنه يحدد دور الوعي في قدرته علي اكتشاف الواقع الخارجي, وهي القدرة التي تقرر أسبقية الوجود الفعلي المستقل لهذا الواقع, وهو ما يعبر ناجيل عنه عندما نكتشف هذا العالم فنحن نكتشف الواقع كما هو بالفعل, فالعالم – كما نحيا فيه , ونفهمه, ونعرفه– ليس ابداعا من عقولنا, ومن هنا تأتي موضوعية

(1)Thomas Nagel. *The View from Nowhere*, P.90.

معرفتنا به, ويعتبر موقفه عكس أصحاب المذهب اللاواقعي ويلخص موقفهم في عبارته أن العوالم التي في متناولنا مجرد بناءات انسانية[1], نتاج وإبداع من العقل الإنساني.

وهكذا, تكون موضوعية العالم الخارجي مصدرا لمفهوم الصدق الموضوعي المستقل عن العقل الإنساني لدي ناجيل, وهي حالة من صدق الأشياء في ذاتها, صدق الحقائق الواقعية الخاصة بالعالم الطبيعي , وصدق القوانين العلمية, وصدق القضايا الفعلية للمنطق, والرياضيات, و أيضا الصدق الأخلاقي. مما يعني أتجاه ناجيل نحو معرفة مختلف الموضوعات في حدودها الخاصة, الأمر الذي يظهر بوضوح في موقفه من الواقعية الأخلاقية.

الواقعية الأخلاقية : Moral Realism

تعني الواقعية الأخلاقية وجهة النظر الملتزمة بموضوعية الأخلاق[2]. حيث تطبق الواقعية علي الأحكام الأخلاقية, والقيم, والحقوق, وكل ما يدخل ضمن النظرية الأخلاقية. تتمثل الفكرة الأساسية التي تستند إليها هذه الواقعية في أن الصدق الأخلاقي يرتكز علي طبيعة الأشياء ذاتها, وليس في ردود الفعل الإنسانية الذاتية والمتغيرة تجاها. تتطلع الواقعية الأخلاقية, إذن, إلي

(1)Thomas Nagel . *Mind and Cosmos*, P.75.

(2)Ibid, P.98.

حمايــة موضــوعية الحكــم الأخلاقــي، الصــدق الموضــوعي يشــبه الصــدق الرياضي، أنها وبالتالي تختلف الموضوعية الأخلاقية عن النسبية والذاتية[1].

وهكــذا, يمكــن القــول إن للواقعيــة الأخلاقيــة ثلاثــة مكونــات أساســية, وهــي:[2]عنصــر ميتــافيزيقي, عنصــر دلالي,عنصــر ابســتمولوجي, فمــن جانــب : يتمثـل العنصـر الميتـافيزيقي فـي الواقعيـة الميتافيزيقيـة الادعـاء بـأن طبيعـة ووجـود الحقـائق والخصـائص الأخلاقيـة مسـتقل عـن اعتقـادات واتجاهـات البشـر حـول مـا هـو صـواب أو خطـأ. حيـث تتنـاقض الواقعيـة الأخلاقيـة فـي هـذا الادعـاء مـع نظريــة الخطــأ ومــع أشــكال أخــري مــن العدميــة التــي تنكــر وجــود الحقــائق والخصائص الاخلاقية.

فــي حــين, يتمثــل العنصــر الــدلالي فــي أن الأحكــام الاخلاقيــة يجــب أن تفســر بوصــفها تقريــرات حــول الخصــائص الأخلاقيــة للأفعــال, والأشــخاص, والسياسـات, والأشـياء الأخـرى للتقيـيم الاخلاقـي، وتـدعي الحوامـل الأخلاقيـة إلـي أنهـا تشـير إلـي خـواص هـذه الأشـياء، وأن الاحكـام الأخلاقيـة (أو القضـايا التـي تعبر عنها) يمكن أن تكون صادقة أو كاذبة.

وفــي مقــام العنصــر الابســتمولوجي, يتضــح كيــف تبــرهن الواقعيــة الأخلاقيــة علــي أن بعـض الاعتقـادات الأخلاقيـة صـادقة, وأن هنـاك طـرق لتبريـر الاعتقـادات الأخلاقيـة , وإمكانيـة المعرفـة الأخلاقيـة , فـي مقابـل تجنـب النزعـة الشـكية. الأمـر الـذي يكمـن وراء نقـد ناجيـل للتفسـير الـداروينـي للكـون علـي أسـاس مفهوم ناجيل للقيمة.

---

(1) Simon Blackburn. *Oxford Dictionary of Philosophy*, p.678.

(2) Robert Audi.(1999). *The Cambridge Dictionary of Philosophy*, Cambridge University Press,P.588.

ولهذا, يكمل ناجيل رفضه للتفسير الطبيعي التطوري الداروني للكون بإدراج القيمة الحقيقية مثل : الخير والش، والصواب والخطأ, بوصفها مثل الوعي والادراك, وبالتالي لا تتوافق تلك القيمة مع التفسير الطبيعي التطوري. من هنا يعتبر ناجيل أن وجود القيمة واستجابتنا لها تعتمد علي الوعي والادراك, وبالتالي لا تتوافق تلك القيم مع التفسير الطبيعي الدارويني, وبخاصة عندما يتوقف الوعي بالقيم علي طبيعة الخبرة الواعية, ومدي الاستجابة لما هو خير أو شر, ما هو صادق أو كاذب, وهي أمور تعتمد علي الادراك المعرفي للأشياء, وهو الادراك الذي يقدم لنا أسباب صدق القيمة أو أسباب رفضها[1].

وهكذا, يتبني ناجيل الواقعية القيمية ضد الذاتية القيمية، فيرفض الفكرة الشائعة بأن الخير والشر هما صفات ذاتية, ليس لها في الواقع منظور موضوعي. تعني واقعية القيمية اعتماد الصدق الأخلاقي والقيمي علي صدق الأشياء في حد ذاتها، إنها رؤية تشبه, إذن, الصدق الفيزيائي , وصدق الرياضيات, والهندسة , وكما سبق ذكره يرفض ناجيل في المقابل الذاتية القيمية التي تعني أن الصدق الأخلاقي والقيمي يعتمد علي استعداداتنا و استجابتنا[2]. مما يبرر بحث الفيلسوف عن الأسس الموضوعية للأخلاق بوصفها أساسا للصدق الأخلاقي. وفي الوقت نفسه، لا يمكن – كما يذكر ناجيل – تصديق التفسير الذاتي للقيم ,مما يجعله جديرا بالرفض, كما نرفض التفسيرات الذاتية للعلم والتفسيرات المادية للوعي.

ومن ثم, لا يتوافق قبول الواقعية الأخلاقية مع فهمنا الطبيعي لأنفسنا وللكون, وهو ما يعبر عنه ناجيل بقوله : " ما زلت مقتنعا بأن الألم شر حقا،

(1) Thomas Nagel .*Mind and Cosmos*, p.98.

(2) Ibid,P.98–99.

وليس مجرد شيئا نكرهه، وأن السعادة خير وليست مجرد شيئا نحبه.. ولكن في التفسير الداروينى يجب اعتبار هذا مجرد وهم, وهم الموضوعية التي هي في حد ذاتها نتاجا للانتقاء الطبيعي... و مع ذلك ليست النظرة العلمية الداروينية ... كافية لإزاحة الاقتناع الفوري بأن الموضوعية ليست وهما فيما يتعلق بالأحكام الاساسية للقيمة"[1]. يصر ناجيل علي موضوعية الأخلاق ، يؤكد حقيقة وجود قيم وأسباب للفعل تكون مستقلة عن الاعتقادات والميول الخاصة بنا.

وهكذا يتضح كيف يتأثر ناجيل في موضوعيته الأخلاقية بالنظرية التطورية الداروينية من جانب, ويتجاوز سلبيتها من جانب آخر. حيث يعتقد ناجيل بموضوعية الأشياء في ذاتها بعيدا عن البنية الذاتية للوعي. وفي الوقت نفسه, يقرر ناجيل أن حدود الموضوعية هي حدود أخلاقية في ذاتها, وأن حدود الأخلاقية موضوعية ،هي أسباب مستقلة عن الحالات الذهنية الداخلية. الأمر الذي يؤكد نقد ناجيل لأصحاب النزعة التطورية في رفضهم للتصور الموضوعي للأخلاق.

فمن ناحية, يتفق العديد من الفلاسفة حول أسس الداروينية وما يترتب عليها. حيث يرفض ديفيد برينك David O. Brink(1958–), علي سبيل المثال , التصور الموضوعي للأخلاق , حيث يري أن التحدي الحقيقي للواقعية الأخلاقية رفض الموضوعية التي تعتقد أن هناك: " حقائق وقضايا موضوعية بطريقة ما"[2]. يقصد برينك بقوله السابق تأثره أكثر بالداروينية في

---

(1)Ibid , P.110.

(2)David O. Brink.(1989). *Moral Realism and the Foundations of Ethics*, P.14.

جوهرها , وبخاصة في الانتخاب الطبيعي و البقاء للأصلح , ورفض المبدأ الأخلاقي الموضوعي , وبقاء الأخلاق الذاتية الأقوى حتي لو كانت سيئة أو شريرة.

من ناحية آخري , يقرر روس – معارضا لموقف ناجيل – أنه لا يوجد أساس للأخلاق الإنسانية, والذي يستقل عن العوامل البشرية, وتفسير النظم الأخلاقية البشرية. مما يعني اعتقاد روس بأن الأخلاق طبيعية [1], حيث يعتقد بالمذهب الطبيعي الأخلاقي Ethical Naturalism المتمثل في الادعاء بأن الدعاوي الأخلاقية تذكر حقائق حول العالم الطبيعي. وبالتالي يكون الوعي الأخلاقي نتاجا للتطور والذي يمكن تفسيره في حدود النظرية التطورية، لسنا في حاجة إذن إلي تفسير الوعي الأخلاقي بالرجوع إلي أي واقع أخلاقي موضوعي، ولسنا في حاجة إلي الواقع الأخلاقي، وبناء عليه يرفض روس وجود مجال قيمي للأخلاق[2].وبالتالي يكون الاعتقاد بصدق موضوعية الحقائق الأخلاقية عند ناجيل وهما, وهم تقدمة جيناتنا.

في المقابل, يتفق ناجيل مع شارون ستريت في أن الواقعية الأخلاقية هي الحالة التي لا تنسجم مع التفسير الداروينى للتأثير التطوري علي ملكاتنا للأحكام الأخلاقية والقيمية. وفي الوقت نفسه, تعتقد الفيلسوفة بأن الواقعية الأخلاقية خاطئة حيث تدعم العلوم المعاصرة التفسير الداروينى, بينما يقف ناجيل علي الجانب المعاكس لستريت حيث يعتقد في صدق وصحة الواقعة الأخلاقية قائلا: " مادامت الواقعية الأخلاقية صحيحة , إذن , يكون التفسير

---

(1) P. Thompson .(1990) . "*Evolutionary Ethics, Darwinian Ethics and Ethical Naturalism*", Human Evolution, vol.5-No.2(133-138),p133.

(2) Ibid,P.136.

الـداروينـي للـدوافع الكافيـة وراء الحكـم الأخلاقـي كـاذب بـالرغم مـن الاجمـاع العلمي لصاحبها"[1].

وهكـذا, تؤكـد سـتريت علـي أن القـوي التطوريـة لعبـت دورا هـائلا فـي تشـكيل محتـوي الاتجاهـات القيميـة البشـرية التـي تمثـل التحـدي أمـام النظريـات الواقعيـة للقيمـة, وبخاصـة فـي شـرح العلاقـة بـين هـذه التـأثيرات التطوريـة علـي اتجاهاتنـا القيميـة مـن ناحيـة، والحقـائق القيميـة المسـتقلة التـي تفرضـها الواقعيـة مـن ناحيـة أخـري[2]. و فـي نفـس الوقـت, يثبـت الواقـع فشـل النظريـات الواقعيـة للقيمـة علـي اسـتيعاب حقيقـة أن القـوي الداروينيـة اثـرت بعمـق علـي القـيم الإنسانية.

تـري سـتريت أن اللاواقعيـة الأخلاقيـة تنسـجم مـع التصـور الـداروينـي، فالنظريـات اللاواقعيـة للقيمـة قـادرة علـي تقـديم تفسـير بـديل للعلاقـة بـين القـوي التطوريـة والحقـائق القيميـة، للتفسـير الـذي يتـيح لنـا التوفيـق بـين فهمنـا للصـدق التنظيمـي مـع فهمنـا للأسـباب غيـر العقلانيـة التـي لعبـت دورا فـي تشـكيل أحكامنـا القيميـة, حيـث لا يمكـن فهـم هـذه الأسـباب بأنهـا بعيـدة عـن العقلانيـة بقـدر أنهـا أسباب خاصة بالعقل العملي عند ناجيل.

إذن, يحـاول ناجيـل تأسـيس الأخـلاق فـي مجـال العقـل العملـي. ففـي حـين, يقـدم العقـل النظـري أسـباب تبنـي الاعتقـادات, يزودنـا العقـل العملـي بالأسـباب التـي تقـف وراء الأسـباب النظريـة : مـاذا يجـب أن افعـل؟, وكيـف نقـود حياتنـا؟, حيـث يلتـزم ناجيـل بفكـرة عقلانيـة العقـل الإنسـاني, وطبيعـة الإنسـان فـي

---

(1) Ibid, P.102.

(2) Sharon Street, " *A Darwinian Dilemma for Realist Theories of Value*", Philosophical Studies, 2006, Spinger.PP.109-166.p.109.

تصوره للفعل الإنساني، وهو ما يعبر عنه مارك باكيا قائلا :" تعد السمة الأكثر تمييزا للفعل الإنساني في منهج ناجيل هو أن الفعل وراءه سبب ما "[1].

يقدم ناجيل في كتابه " إمكانية الإيثار" "The Possibility of Altruism" (1670) مفهوما عن العقل الكلي للفعل لدي الإنسان، حيث أن القيم ترتبط بالعقل العملي قائلا: " إن العقل العملي عملية إدراكية واعية.. وبالتالي لا يتوافق واقع الوعي والادراك مع المذهب الطبيعي العلمي.. حيث تمثل القيمة – كما أعتقد – مشكلة أخري بالنسبة للمذهب الطبيعي العلمي"[2].

فالقيمة ترتبط بالعقل العملي لأن ناجيل يفسر الحس الأخلاقي بوصفه ملكة تهدف إلي تحديد تلك الحقائق في حوادث اختيارنا التي تفسر ظروف اختيارنا, وتحديد ما يجعل الفعل الأخلاقي صادقا أو كاذبا , حيث الصدق القيمي من صدق أحكامنا القيمية, عندما تكون استعداداتنا منسجمة مع البنية الفعلية والثقل الحقيقي للقيم[3].

في الوقت نفسه, يقرر ناجيل مبادئ عامة للقيمة في العقل الإنساني والتي يمكن اكتشافها عن طريق وسائل عقلانية. حيث يمكن للشخص اكتشاف تلك المبادئ عن طريق فهم الرغبات النظرية, والانطباعات الفورية

---

(1) Marek Pyka. " *Thomas Nagel on Mind, morality and Political theory* " , American Journal of Theology & Philosophy, vol.26–No. 112(January–May 2005).pp.85– 95, P89.

(2) Thomas Nagel. *Mind and Cosmos*, p.98.

(3) Ibid, P.99.

للقيمة, أي ما هو جيد أو سيء لنا أو لا قاربنا, مما يعني اكتشاف مجال معياري أكبر يحكمه المبدأ أو مجال العقل العملي الذي يظهر فيه القيم بشكل مباشر , ويمكن التقدم من خلال القدرة علي التعميم والاستعداد لتجنب عدم الاتساق[1].

وبالتالي, يؤكد ناجيل على اختلاف نوع الموضوعية المطلوبة في الأخلاق، إنها ليست مجرده مثل المطلوبة في العلوم. فالموضوعية في الأخلاق تعني الحيادية , وتبني وجهة النظر الأخلاقية المحايدة , و تعني الحيادية ذلك الانفصال عن المنظور الذاتي لدي الشخص والقيم الناشئة عنه[2].

وهكذا, يتجاوز ناجيل بتصوره للموضوعية الأخلاقية دوجماطيقية القيمة لدي الذاتيين, ويؤكد الفيلسوف علي أنه لا يمكن تقديم بنية كاملة للقيمة والأخلاق إلا من خلال التفكير العملي والتطور الثقافي , بمعني أنه لا يتم النظر إلي القيمة إلا من خلال موضوعية الواقعية الأخلاقية، وبنفس المنطق في حال تخلينا عن التفسير الواقعي لخبرات الادراك الحسي التي يستند اليها العلم سيتم تقويض الواقعية العلمية أي موضوعية النسق العلمي.

يطبق ناجيل الموضوعية الأخلاقية في كتابه " إمكانية الإيثار" ، مقررا ما يلي : أولا – ارتباط مفهوم الإيثار بموضوعية القيمة , ثانيا – أهمية البحث في بنية الفعل الإنساني, ثالثا – تقرير فعالية النظريات الميتافيزيقية في تفسير العالم . فمن جانب, يقول ناجيل : " أن موضوعية القيم هي المبدأ وراء

(1) Ibid, P.77.

(2) Marek Pyka. "*Thomas Nagel on Mind, Morality and Political Theory*", P.90.

الإيثار"[1], وبالتالي تكون أسباب القيم موضوعية , وهي الأسباب القائمة علي مضمون الفعل الأخلاقي , مضمون عملية الإيثار , الأمر الذي يؤول إلي نوع من الحيادية الأخلاقية, و أيضا إلي إمكانية امتداد الحكم الأخلاقي نحو الآخرين. ومن جانب آخر, يهدف ناجيل إلي تشجيع البحث الميتافيزيقي نحو تقديم رؤي تفسيرية أكثر عقلانية من تفسير المادية, يقول ناجيل : " يجب أن يمتد فهم الكائنات الحية البيولوجية وتاريخها التطوري .. إلي ما هو أبعد من المادية لاستيعاب تفسير الوعي[2].

وهكذا, تجمع عقلانية ناجيل بين الذاتية والموضوعية , بين الأنسان والعالم في سياق معرفي أخلاقي . حيث يعتقد الفيلسوف بحقيقة الوعي الذاتي, وهي حالة من الوعي الذي يتجاوز ذاتية الاعتقاد و الأحكام المعرفية التي لا تؤول إلا إلي نوع من النسبية. في حين , تؤكد ذاتية الوعي عند ناجيل علي قدرة العقل بخبرته الذاتية علي فهم وقائع العالم الخارجي وما يتضمنه من قيم.

وفي الوقت نفسه, يطبق ناجيل ما يمكن تسميته " بحيادية البحث الفلسفي " في مجال القيم الأخلاقية , وينتهي إلي تقرير أهمية موضوعية القيم , وهي الموضوعية التي تتشكل بفضل ما يحتويه الفعل الإنساني العملي من معاني و دلالات فعلية, وفي هذه الحالة لا يكون حكم القيمة ذاتيا ولكنه موضوعيا نظرا لقيامه علي فعالية العقل العملي.

و بالتالي, يقدم ناجيل فعاليات العقل النظري في مجال معرفة الذات ومعرفة العالم الخارجي, ويقدم العقل النظري في مجال وصف القيمة الأخلاقية

---

(1)Thomas Nagel. (1970) . *The Possibility of Altruism* , New Jersey: Princeton University press.p.90.

(2)Thomas Nagel .*Mind and Cosmos* , P.86.

و تفسيرها, ويقرر أيضا أهمية البحث الميتافيزيقي في كشف النقاب عن الأسباب التي تعجز المادية في تفسيرها.

رابعا : الخاتمة :

تتوصل الباحثة إلي مجموعة من النتائج , وهي :

أولا – يمثل ناجيل نموذجا لفلاسفة العقل المعاصرين غير الماديين، حيث يرفض التفسير المادي التجريبي للوعى، مؤكدا أن كل النظريات المادية للعقل تفشل في تقديم تفسير مرضى للحالات العقلية، لذلك رفض النزعة الردية بشتي صورها. ويقرر ناجيل أن السمة الذاتية للوعى تحتاج إلى المزيد من البحث والتعاون بين شتى المجالات العلمية والمعرفية لإيجاد طريقة يمكن من خلالها تفسير الذاتي في إطار هذا العالم المادي الموضوعي.

ثانيا – يرفض ناجيل التفسير البيولوجي التطوري الدارويني تماما ، حيث يمثل صورة من صور المادية التي تغفل في تفسيرها العقل و الوعى والقيمة و الأخلاق، بالإضافة إلى أن قبوله يعنى أن تصبح لاواقعيا أي يعتمد الصدق العلمي والأخلاقي على استجاباتنا المعرفية بدلا من كونه شيئا قد يتوافق مع استجاباتنا أو لا يتوافق. وهذا ما يرفضه ناجيل إن العوالم ليست مجرد بناءات إنسانية كما يتصورها اللاواقعيون، يسعى ناجيل إلى الموضوعية العلمية والقيمية بعيدا عن اهواءنا واستجاباتنا.

ثالثا : يعد إنتاج ناجيل في فلسفة العقل نموذجا يقدم فهما لمكان العقل في العالم الطبيعي المادي، والعلاقة بين الذاتية والموضوعية أو بين الداخلي والخارجي. فالفكرة الرئيسة خلف كل من صحة وحدود الموضوعية هي إننا كائنات صغيرة في عالم كبير ونمتلك فهما جزئيا جدا ويعتمد التساؤل كيف تبدو لنا الأشياء؟ علي كل من العالم وعلي بنيتنا, ويمكننا رفع مستوي فهمنا إذا قمنا بفحص العلاقة بين العالم وأنفسنا, وتقديم تصور جديد يشتمل علي

فهم أكثر تحررا من أنفسنا والعالم ومن التفاعل بينهما, ومن ثم تسمح الموضوعية بتجاوز وجهات نظرنا المحددة وتطور الوعي المتسع الذي يشمل العالم بأكمله, ويطبق هذا علي القيم والاتجاهات مثلما يطبق علي الاعتقادات والنظريات [1]. فالهدف الأساسي من فلسفته تقديم نظرية فلسفية عن فهم ذواتنا بخبرتنا الواعية بذاتيتنا, وتفسيرها للجانب المعرفي والقيمي والأخلاقي, وكيفية فهم هذا العالم بعلومه و موضوعيته.

رابعا : يتفق ناجيل مع كل من: فرانك جاكسون و جون سيرل و ديفيد شالمرز الرافضين للنزعة الردية التي ترد السمة الذاتية للوعى أو الحالات العقلية إلى حالات فيزيائية للمخ، أنهم جميعا يمهدون السبيل لبحث ثنائية العقل والمخ بطريقة مختلفة، رافضين كل محاولات الهروب من تلك المشكلة ، حيث يري تشالمرز أن الوعى محير كما هو دائما، ولا يزال يبدو غامضا تماما، و السبب وراء السلوك يجب أن يكون مصحوبا بخبرة واعية [2]، حيث أنه متفائل بشأن الوعى وليس متشائم، ففي نهاية المطاف لا بد من الوصول إلي نظرية عن الوعى [3]، أن فلسفاتهم جوهرها الحقيقي البحث عن رؤية جديدة للخبرة الواعية بعيدا عن كل من يهربون من المشكلة بقولهم ان الوعى مجرد وهم، أو بتفسيره تفسيرا رديا ماديا.

خامسا : يمكن القول أن هناك قاسما مشتركا بين ناجيل وأنصار النظرية الذاتية , يتمثل في محاولتهم جميعا تقديم تفسير للوعي بوصفه عملية عقلية ,

---

(1) Thomas Nagel . *The View From Nowhere*, P. 5.

(2)David J. Chalmers. *The Conscious Mind* ,P. ix.

(3) Ibid, P. x.

حيث تحاول النظرية الذاتية الدفاع عن هوية الإحساسات أو الوعي والعمليات العقلية علي أسس تجريبية وليس منطقية[4] , وهذا ما يحاول ناجيل الوصول إليه في عمله الفلسفي.

(4) بهاء درويش : فلسفة العقل عند دونالد دافدسن , منشأة المعارف , الإسكندرية , 2002, ص 17.

المصادر والمراجع :

أولا: مؤلفات توماس ناجيل :

1- Thomas Nagel, "*Physicalism*" , The Philosophical Review, vol.74,No.3 ,(Jul., 1965), pp.339-356.

2- ……. (1970) . *The Possibility of Altruism* , New Jersey: Princeton University Press.

3- ……." *Armstrong on the Mind* ", The Philosophical Review , Vol.79, No.3. (Jul., 1970),PP.,394- 403.

4- ……."*What is it Like Be A Bat?*, The Philosophical Review, vo1.83, No.4.(oct.,1974),pp.435−450.

5- ……..(1986) . *The View From Nowhere*, Oxford: Oxford University Press.

6- …… (1987). *What Does It All Mean ? : A very Short Introduction to Philosophy*, Oxford: Oxford University Press.

7- …… (1997).*The Last Word* , Oxford: Oxford University Press.

8- ……..(2012) *Mind and Cosmos: Why the Materialist Neo-Darwinian Conception of Nature Is Almost Certainly False* , Oxford :Oxford University Press.

ثانيا: المراجع العربية :

1- بهاء درويش : فلسفة العقل عند دونالد دافدسن , منشأة المعارف, الإسكندرية, 2002

2- ..... التفسير الطبيعي المعاصر للوعي : بحث في فلسفة العقل, منشأة المعارف, الإسكندرية , 2009.

ثالثا: المراجع الأجنبية:

1- C. D. Broad.(1925), *The Mind and its Place in Nature,* London: Kegan Paul.

2- D. M. Armstrong.(1981), *The Nature of Mind* ,the Harvest Press.

3- Daniel C. Dennett(1991), *Consciousness Explained*, New york: Back Bay Books.

4- David J. Chalmers(1991) *The Conscious Mind : In Search of A Conscious Experience,* Oxford University Press.

5- ……." *Consciousness and its Place in Nature*", in, Philosophy of Mind: Classical and Contemporary Readings,(ed.) David Chalmers ,Oxford: Oxford University Press,2002, PP.247-272.

6- David Skrbina.(2005).*Panpsychism in The West*, Cambridge: MIT Press.

7- ……. .(2009). *Mind That Abides: Panpsychism in the New* Millennium, Amsterdam :John Benjamins Publishing Company.

8- Dogobert D. Runes. *The Dictionary of Philosophy*, New York: Philosophy Library.

9- Frank Jackson. "*Epiphenomenal Qualia*", in, Philosophy of Mind: Classical and Contemporary Readings,(ed.) David Chalmers ,Oxford: Oxford University Press, 2002, PP.273-280.

10- John Searle.(1992). *The Rediscovery of The Mind* , Cambridge, Mass.: MIT Press.

11- .....(1997) *Thy Mystery of Consciousness*, New York: New York Review of Book.

12- Marek Pyka. "*Thomas Nagel on Mind, morality and Political theory*", American Journal of Theology & Philosophy, vol.26,No. 1/2(January-May 2005).PP.85- 95.

13- Marina Rokova .(2006). *Philosophy of Mind A-z*, Edinburgh: Edinburgh University Press.

14- Nicholas Unwin." Nagel, *Panpsychism* and Realism", Lancaster University, PP.1-15.

15- P. Thompson. (1990). *"Evolutionary Ethics, Darwinian Ethics and Ethical Naturalism"*, Human Evolution, vol.5-No.2, PP.133-138.

16- Richard Brown." *David Chalmers on Mind and Consciousness*" ,In, Philosophy of Mind : The

Character of Consciousness,(ed.)Andrew Bailey, New York: Oxford University Press.

17- Robert Audi.(1999). *The Cambridge Dictionary of Philosophy*, Cambridge University Press.

18- Sharon Street, "*A Darwinian Dilemma for Realist Theories of Value*", Philosophical Studies, 2006, Spinger.PP.109-166.

19- Simon Blackburn.(2005). *Oxford Dictionary of Philosophy* ,Oxford : Oxford University Press.